﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران: 48]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الآية معطوفة على قوله: ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ [آل عمران: 45]، والآية السَّابقة اعتراض بينهما، وفيه مسارعة إلى إجابتها عمّا شَغَل قلبها، وفيه لطفٌ من الله بأوليائه ورحمةٌ بعباده، فلمَّا أجابها إلى ما شَغل قلبها من العَجَب؛ عاد إلى إكمال البِشارة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: الجذر اللغوي للكلمة هو: (كتب)، وهو أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، ويُقَالُ: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبُهُ كَتْبًا، وَيَقُولُونَ: كَتَبْتُ الْبَغْلَةَ، إِذَا جَمَعْتُ شُفْرَيْ رَحِمِهَا بِحَلْقَةٍ، وكتَب الكتاب يكتُبه، واكتتبه لنفسه: انتسخه[2]، والكتابةُ ضمُّ الحروف بعضها إلى بعض بالخطِّ، وقد يقال ذلك: للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، فالأصل في الكتابة النَّظمُ بالخطّ، لكن يُستعار كُلُّ واحدٍ للآخر؛ ولهذا سُمِّيَ كلام الله؛ وإن لم يُكتب كتابًا[3]، وكلُّ ما هو من هذا التركيب في القرآن الكريم فهو من الكتابة بالمعنى المشهور، سوى ما أريد به كتب الله المنزلة، أو بمعنى الفرض، أو القضاء بأمر[4].

2) ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الجذر اللغويُّ للكلمة هو: (حَكَم)، أَصْلٌ وَاحِدٌ، يدلُّ على المَنْعِ، وَالْحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا؛ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ، والحِكمةُ: مَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم، ويقال: أَحْكَمَتْه التَّجارِبُ؛ إذا كانَ حكيمًا[5]، والكلمة من الْحِكْمَة الَّتِي جَاءَت فِي الْخَبَر: «الْحِكْمَة ضَالَّة الْمُؤمن»[6]، هي كلُّ كلمةٍ وَعَظَتْكَ، وَزَجَرَتْكَ، وَدَعَتْكَ إِلَى مَكْرمَة، أَو نَهَتْكَ عَن قَبِيح؛ فَهِيَ حِكْمَة[7].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/401.
(2) الزمخشريُّ، أساس البَلاَغة: (كتب).
(3) الراغب، المفردات، (كتب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل، (كتب).
(5) الخليل، العَين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(6) رواه الترمذي، الحديث رقم: (2687)، وابن ماجه، الحديث رقم: (4169).
(7) ابن دريد، جمهرة اللُّغة: (حكم).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ومن عطايا اللّهِ ومواهبِه لعيسى عليه السلام ما يؤهِّله للنُّبوَّة، فهو يُعلِّمُه الكِتابةَ أو الكتبَ السَّماوية التي نزلت قبله، ويعلِّمه السَّداد في القول والفِعْل، ويُعلِّمه التَّوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، ويعلمه الإنجيل الذي سينزله رسالةً عليه، وذلك كلُّه مِمَّا أحاطه اللّهُ به من الحَفاوة، والمِنَّة العظيمة؛ ولزيادة إيناس أمِّه مريمَ بموهوبها الذي بشَّرتها الملائكةُ به[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بيانُ الخلاف في وصل الآية وفصلها:

الجملة عطفٌ، ويجوز فيها الاستئناف حَمْلًا على مواطن أخرى

الظاهر في جملة ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾، أنّها معطوفة على جملة: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ بعد انتهاء الاعتراض[2]. وأجاز الزمخشري[3] أن يكون: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ كلامًا مستأنفًا، واعترض أبو حيان بأنه عنى أنه استئناف إخبار، فثبوت الواو ينفيه؛ لأنها تقتضي العطف[4]. ووافق البسيلي الزمخشريَّ بقوله: " وقد ذكر غير واحد أنه يصح وقوع الواو في ابتداء الكلام من غير عطف، بل ذكر ابن التلمساني في باب القياس: أن الفاء يصح وقوعها في ابتداء الكلام. وقال القرافي في (شرح المحصول): نقل سيف الدين عن جماعة أن الواو ترِدُ للاستئناف. كقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7] "[5].

دلالة المضارع في ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾:

التَّدرُّج في التَّعلُّم على مدى الحياة ضامنٌ لرسوخ العلم وتوافقه وانسجامه؛ إيمانًا وقناعةً وتطبيقًا

في دلالة المضارع على التجدُّد والحدوث؛ إشارةٌ إلى ضرورة السَّعي الدائب المستمرِّ في طلب العلم، وتحصيله والعمل به؛ وتتَّسق

(1) ابن جرير، جامع البيان: 5/416، والآلوسي، روح المعاني: 2/159، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 56.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/249.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/364.
(4) أبو حيَّان، البحر المُحيط: 3/159.
(5) البسيلي، التقييد الكبير: ص 543.

دلالة الفعل المضارع من خلال ذكر مراحل جريان الكلمة على لسان - عيسى عليه السلام - فقد كان يكلِّم النَّاس في المهد رضيعًا، وكهلًا نبيًّا مرسلًا، ثمَّ يكلِّم النَّاس كَهلًا منزَّلًا من السَّماء في آخر الزَّمان.

الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم على قراءة: ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾:

الاهتمام بالعلم والتَّعلُّم وتعظيم قدره

قرأ نافع وعاصم وأبوجعفر ويعقوب: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالتحتيَّة، أي: يعلِّمه الله، وقرأه الباقون بنون العظمة[1]، وأمَّا بالنُّون؛ ففيه التفاتٌ وإيذانٌ بأنَّ هذه الكرامة مِن المِنَحِ التي توجب أن يعظَّم موليها[2]، وخرج من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلُّم؛ لما في ذلك من الفخامة[3].

بلاغة إسناد فعل التعليم اليه تعالى:

الفعل من باب الإعلام، وهو خاصٌّ بالأنبياء

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، أي: يصيرّه عالمًا بذلك. وأطلق على الأنبياء، وجعل خاصا بهم دون العلم، فلم يقل: (ويَعْلَمُ)؛ لسببين: أحدهما: أن ذلك تشريف لهم واعتناء بهم؛ لأنَّ الإقبال بالتعليم للشخص؛ اعتناءٌ به. والثاني: أن هذا من باب العلم التكميلي؛ لأنَّ العلوم الضرورية لَا يحتاج فيها الإنسان إلى تعليم، فلو قيل: (ويَعْلَمُ) لدخل فيه الضروريُّ فيكون تحصيل الحاصل[4].

بلاغة تعدُّد المفاعيل وسرُّ ترتيبها:

تعدُّدُ الموهوب دليلُ المغايرة، فكلُّ عطاءٍ قائمٌ برأسه

إذا تعدَّدت العطايا الإلهيَّة؛ أبانت عن قدر المعطي، ومكانة الموهوب، وقد جاءت في قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ متعددةً متعاطفةً؛ بيانًا للمغايرة؛ فمع كثرتها إلَّا أنَّ كلَّ عطاءٍ قائمٌ برأسه. وهو عليه السلام حريٌّ أن يُعطاها كلَّها.

وفي ترتيبها على هذا النحو إظهارٌ للعناية الإلهيَّة، والرِّعاية الرَّبَّانيَّة بأنبياء الله ورسله، واللَّام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على الرَّاجح: لام

(1) ابن الجزري، النشر: 2/240.
(2) الطِّيبي: فتوح الغيب: 4/110.
(3) أبو حيَّان، البحر المُحيط: 3/159.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/356.

الجنس، والمراد كلُّ الكتب المنزلة من قبل عيسى عليه السلام، ثم الكتاب الخاصُّ ببني إسرائيل، ثم الكتاب الخاصُّ بأمَّته، ويمكن أن يكون ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ كناية عن كتاب الخلق؛ لأنَّه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله.

وجـه الترتيب التـدرّج من العـام إلى الخاص

والحكمة: العلم الصحيح الذي يبعث الإرادة إلى العمل النافع، ويقف بالعامل على الصراط المستقيم لما فيه من البصيرة وفقه الأحكام وأسرار المسائل[1]، وهي الفقه وقضاء النَّبيين[2]، والعلم بسننهم، وبما شرعوه من الدِّين، وبالصَّواب في القول والعمل وبالعقل وبأنواع العلم، فالحكمة أخصُّ من العلم، ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: كتاب موسى، و﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾: ما أوحي إليه نفسه، وذِكر الإنجيل لمريم، وهو لم ينزل بعد؛ لأنَّه كان كتابًا مذكورًا عند الأنبياء والعلماء، وأنَّه سينزل[3].

وجـه الترتيب الأوليّة، وسبق الحصول

قال البسيلي: " وقدّم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ لأنّ أول ما يتعلّم الصغير الكتابة ثم الحكمة: وقدّم ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ على الرسالة؛ لأن كونه رسولًا لا ينافي بأن يكون قبل ذلك نبيًّا يُنَزَّلُ عليه ثم أرسل"[4].

وجهُ عطف التوراة والإنجيل على الكتاب:

وجـه تخصيص التوراة والإنجيل بالذكر تفضيلُ الكتابين

وذكر الكتاب، ثم عطف عليه التوراة والإنجيل، وهما من جملة الكتاب؛ لأنّه عنى بالكتاب القراءة والكتابة، وعُلِّم تعليمًا إلهيًّا في حال الطفولة، وقيل: عنى بالكتاب كتب الله المنزلة، وخصَّص التوراة والإنجيل كتخصيص ذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تفضيلًا لهم[5].

(1) رضا، تفسير المنار: 3/255.
(2) ابن الجوزي، زاد المَسِير: 1/284. والقاسميُّ، محاسن التأويل: 3/158.
(3) أبو حيَّان، البحر المُحِيط: 3/159.
(4) البسيلي: التقييد الكبير: ص 542 - 543.
(5) الراغب، تفسير الراغب: 2/572.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»